الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

توظيف الأمثال والحكم في شعر الزهد
أبو العتاهية أنموذجا ـدراسة فنية موضوعاتيةـ

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

*- بوسلوب هنـد
*- فغرور خديجـة

إشراف الأستاذ:

علاوة كوسة

السنة الجامعية: **2019/2018**

مقدمـــــــة

مقدمـــة

يعد العصر العباسي من أرقى العصور في التاريخ العربي وهذا لامتزاج وتداخل الثقافات الغربية كالفارسية واليونانية والهندية مع ثقافته؛ مما أدى إلى نقلة نوعية امتازت بالتجديد والتنوع في مسار الشعر العربي وذلك لظروف اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية، نقلة لم تشهدها العصور السابقة ونجد أنه آنذاك اجتمعت أغراض متناقضة كالمجون والزندقة والزهد، و هذا الأخير لم يكن جديداً عليهم ولكن الشعراء طرقوه كثيراً في قصائدهم دفاعا عن دينهم لأنه يهذب الأخلاق ويذكر الناس بالموت والعقاب، ومن الشعراء الذين تطرقوا إليه شاعرنا أبو العتاهية والذي نحن بصدد دراسة شعره وخصصنا هذه الدراسة في الحكم والأمثال حيث جعل لهما حيزاً واسعا وكبيراً في شعره وكانت من المواضيع البارزة التي ركز عليها فحكمته كانت خلاصة تجاربه العميقة، كما أن الثقافة الواسعة التي سادت عصره جعلته يتأثر بها فكانت سببا في تميزها وعمقها وتعبيرها عن الواقع تعبيراً إنسانيا وقد حملت في طياتها مواضيع شتى كالطمع في الدنيا ومتاعها، الموت والوعظ والنصح وهلم جرّا، أما بالنسبة للأمثال فقد وظفها أيضا في شعره فنجد أمثالا شائعة كانت من قبل يستعملها فتزيد الشعر ثروة وبلاغة ونضج أكثر وقد عُرف أبو العتاهية بأرجوزته الشهيرة "ذات أمثال" التي جمع في أمثال عديدة.

واخترنا الحكم والأمثال مجالا لدراستنا، والموضوع الذي نحن بصدد دراسته هو توظيف الأمثال والحكم في شعر الزهد عند أبي العتاهية الشاعر الزاهد الذي انتقل من حياة الغزل والمجون إلى حياة الوعظ والتقشف ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو رغبتنا في التعرف أكثر على أبي العتاهية والموضوعات التي وظفها، فما مدى تأثر أبو العتاهية بأحوال مجتمعه؟ وكيف انعكس ذلك على شعره؟ وما هي المواضيع التي تحدث عنها الشاعر من خلال حكمه وأمثاله؟ والمنهج الذي اعتمدنا عليه هو المنهج البلاغي.

واقتضت الدراسة أن نقسم البحث إلى أربعة فصول، الفصل الأول مهاد نظري يندرج تحته خمسة مباحث فالمبحث الأول بعنوان مفهوم الأمثال لغة واصطلاحا والمبحث الثاني مفهوم الحكمة لغة واصطلاحا والمبحث الثالث الفرق بين المثل والحكمة والمبحث الرابع في مفهوم الزهد لغة واصطلاحا أما بالنسبة للمبحث الخامس فبعنوان تطور شعر الزهد في الشعر العربي، أما بالنسبة للفصل الثاني فقد جمعنا فيه عدة مواضيع للحكم التي وجدناها في شعر أبي العتاهية وهي: الشيب والشباب والموت والندم والدعوة إلى القناعة والصبر والندم والطمع في الدنيا ومتاعها والضلال والفتن والغنى والتقوى والصبر والظلم، أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تضمن مواضيع للأمثال تتمثل في الطاعة والصمت والهوى والغنى والذل والنصح وعدم القناعة والصديق ووصال الصديق وسوء الفهم، وخصصنا الفصل الرابع لدراسة هذه الأشعار دراسة فنية شملت التشبيه والاستعارة والكناية والطباق والجناس وأنهينا هذا البحث بخاتمة واعتمدنا على مجموعة مصادر ومراجع أهمها كتاب مجمع الأمثال للميداني، كتاب الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس لسراج الدين محمد وكتاب تاريخ الأدب العربي "العصر العباسي الأول" لشوقي ضيف، وقد واجهتنا صعوبات أثناء قيامنا بهذا البحث نترفع عن ذكرها فلا يخلو أي بحث منها، وفي الأخير نتمنى أن يفيدكم هذا البحث المتواضع و لو بالقليل.

الفصل الأول:

مهـــاد نظـري

1. مفهوم المثل.

أ. لغة.

ب. اصطلاحاً.

2. مفهوم الحكمة.

أ. لغـــة.

ب. اصطلاحاً.

3. الفرق بين المثل والحكمة.

4. مفهوم الزهد.

أ. لغـــة.

ب. اصطلاحاً.

5. تطور الزهد في الشعر العربي.

1. مفهوم المثل:

أ. لغة:

تعددت مفاهيم المثل في المعاجم اللغوية وكانت كلها تدور حول معاني الصفة والعبرة والشبه والصورة ...

وبما أن البحث في الأصول اللغوية للمصطلحات يعتبر شيئاً أساسياً في فهمها وضبط معانيها، يتوجب علينا العودة إلى المعاجم اللغوية لفحص مادة هذا المصطلح.

وأول معجم نبدأ به هو "لسان العرب" إذ جاء في مادة "مثل": "المِثل: الشيء الذي يضرب لشيء مَثَلاً فيجعله مِثْلَهُ وفي الصّحاح: ما يضرب به من الأمثال، وقال الجوهري: ومثل الشيء أيضا صفته، قال ابن سيده: وقوله عزّ ما قائل: "مَثَلُ الجنّة الّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ" (محمد/15).

قال اللّيث مثلها هو الخبر عنها، قال ابن إسحاق: معناها صفة الجنّة".[1]

الظاهر هنا أن "ابن منظور" قد أورد تعريفات لعلماء سبقوه في تعريف المثل، واجتمعت كلّها على أن المثل هو الصفة، فمثل الشيء صفته.

أمّا "الزّمخشري" فقد ذهب إلى معنى آخر للمثل ويظهر هذا من خلال تعريفه بقوله: "مثله به: شبّهه وتَمثّل به: تشبّه به، ومثّل الشيء بالشيء: سويّ به وقدّر تقديره".[2]

أي: إنّ المثل هو الشّبه، وهذا مثل هذا أي شبيه، والتشبيه هو التسوية".

---

[1]– محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1119، ص 4133.

[2]– أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 193.

وذهب "ابن فارس" في "المقاييس" إلى وضع مفهوم آخر للمثل حيث يقول: (مثل): الميم والثاء واللام أصل صحيح، يدلّ على مناظره الشيء لشيء وهذا مثل هذا أي نظيره، والمَثل والمِثل بمعنى واحد".[1]

نفهم من خلال هذا التعريف أن كلمة "مثل" حروفها أصلية خالية من العلة، وتعني المناظرة، فمناظرة الشيء للشيء أي بمعنى واحد، ولا اختلاف بين المَثل بفتح الميم ومِثل بكسرها.

ب.اصطلاحاً:

تعدّ الأمثال من الأشكال الأدبية فهي تعبّر عن الواقع بشكل يقترب من الصدق لأنها تعدّ نتاج فكر وأحداث وتجارب للحياة اليومية، فهي مرآة عاكسة لحياة كل الشعوب بحيث تعكس فيها عادات وتقاليد هذه الشعوب والأمم باعتبار حكمتها وخلاصة تجاربها، فالمثل قالب جاهز يوجه إلى جمهور متفاوت من حيث الثقافة والفهم والتأثر.

وقد وظفت الأمثال في الشعر العربي منذ القديم، وكان لها دور بارز في الكشف عن حياة العرب، ونظراً لهذا الدور البارز الذي اختصت به، فقد سعى العديد من الدارسين والباحثين من أجل تحديد مفهومها ولا تكاد هذه التعريفات تخرج عن المعاني اللغوية السابقة الذكر، ولعل هذا راجع إلى تنوع الأمثال وأساليب تصنيفها.

ونبدأ بما جاء به "الميداني" في (مجمع الأمثال) حيث ذكر عدة تعاريف للمثل: يقول: قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يشبّه بع حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه فقولهم (مثل بين يديه) إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، وفلان أمثل فلان: أي أشبه بما له من الفضل، والمِثال: القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول".[2]

---

[1]– أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 938.

[2]– أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني: مجمع الأمثال، ج2، التعاونية الثقافية الرضوية المقدسة، 1385هـ، (د.ط)، ص 9.

كقول زهير:

كَانَت مَواعيدُ عُرقُوب لَهَا مَثَــلاً وَمَــا مَواعيــدُهَا إلاَّ الأَبَاطيــلُ

فمواعيد عرقوب علم لكل ما يصلح من المواعيد.[1]

أراد "المبرد" في تعريفه هذا بقوله: "هو القول" أنه لا يمكن أن يكون مثلا إلا إذا انتشر وذاع وسار في الآفاق غير أنه هنا لم يحدّد شروط هذه السيرورة ومواصفاتها والأساس الذي يقوم عليه المثل، وقوله: "هو التشبيه" لأن كل مثل مورد ومضرب: فالمورد هو القصة التي أطلق فيها لأول مرة وهو ما أسماه المبرد بالحال الأولى، والمضرب الحال التي نستعيده فيها لمشابهتها للحال التي ورد فيها وهو ما أسماه المبرد بالحال الثانية.

كما أورد "الميداني" في كتابه هذا تعريف "ابن السكيت" للمثل إذ يقول: "المثل هو لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل على غيره"[2].

يظهر لنا من خلال تعريف "ابن السكيت" هذا أن وجه الشبه والمناسبة التي صارت سبباً لإلقاء هذه الحكمة غير مختصة بمورد دون مورد، وإن وردت في مورد خاص يكون المثل عبارة عن آية أو علامة.

ويعرّف "الأصفهاني" المثل بقوله: "المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر، ويصوّره نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن، فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال".[3]

---

[1]– أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، ص 9.

[2]– المصدر نفسه، ص 9.

[3]– أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج2، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط)، (د.ت)، ص 596.

من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن مفهوم المثل هو قول يرد عند حادثة معينة، والتي تعتبر السبب الرئيسي لنشوء المثل، ثم يستعمل هذا المثل في حالات مشابهة للحالة الأولى التي قيل فيها المثل حتى يصير متداولاً بين الناس، وتناقلته الأجيال، فقولهم: "الصيف ضيعت اللبن" يعتبر مورد لا تشبيه فيه، له قصته، وهي أن رجلاً قال للمرأة التي طلقها "الصيف ضيعت اللبن" فهو هنا لا يريد تشبيهاً بل قصد أنها تركت ما كانت فيه من نعمة وعيش كريم، وذهبت إلى غيره.

ونحن اليوم إذا رأينا أحداً يعيش في نعمة ولم يشكر، وسعى إلى ما هو أكثر وأفضل، وبمجرد تركه لما كان فيه، ينقلب عليه الأمر إلى الفقر والجوع صح أن نقول له على وجه المشابهة "الصيف ضيعت اللبن" وبالنسبة لعبارة المثل تبقى نفسها في الشكل والتراكيب لا تتغير حتى وإن تغير المخاطب فإن كانت في المؤنث وكان المخاطب الحالي في المذكر تبقى في المؤنث باعتبارها مثلاً.

ونجد من جهة أخرى أن المثل قد يكون جملة مقتضبة ومرسلة وهذا من خلال ما يقوله "المرزوقي"": "المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول فتنتقل عما وردت فيه، إلى ما يصح قصده بها، من غير تفسير يلحقها في ألفاظها وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، ولذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها".[1]

من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن المثل يبقى على صورته الأصلية أو المرسلة وهو يتميز بالقبول والتداول، وذلك لشدة براعته وإيجازه ويبقى هذا المثل يتداوله الناس وإن كان مورده مجهولاً ولفظه لا يتغير في أي حال من الأحوال.

أما "أبو عبيدة" فيقول عن الأمثال: "أنها حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك

[1]– عبد الرحمان جلال الدين السيوطي: المزهد في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد احمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1406هـ-1986م، ص 486-487.

ثلاث خلال: "إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف".[1]

فالأمثال عنده تمثل خلاصة لتجارب العرب وخبراتهم، ويعد التعبير بالأمثال كناية، وتتميز الأمثال عنده بثلاث ميزات: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، وهو هنا جمع بين المضمون والشكل.

أمّا حديثاً فلا نكاد نجد تعاريف جديدة للأمثال، بل كانت مجرد تعاريف مستقاة من مناهل القدماء:

– فهذا "أحمد أمين" في كتابه "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية" يعرّف الأمثال بقوله: " الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال تتبع من كل طبقات الشعب، وليس ذلك كالشعر أو النثر الفني فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستوقراطية في الأدب، وأمثال كل أمة مصدر هام جداً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي، يستطيع كل منهما أن يعرف كثيراً من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرها إلى الحياة، لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها".[2]

من خلال تعريف "أحمد أمين" للأمثال نجده قد أشار إلى روعة أساليب المثل وسلاستها بحيث أن عباراتها بسيطة موجزة ودقيقة في الآن نفسه، وتتميز بأنها موجهة لعامة الناس، أي يفهمها العامة، بعكس الشعر والنثر الفني، والأمثال تعتبر مرجع رئيسي للمؤرخ الأخلاقي والإجتماعي فمن خلالها يمكن معرفة ثقافة وفكر تلك البيئة.

– وأشار "شوقي ضيف" إلى الأمثال واعتبرها فلسفة فقال: "هي فلسفة الحياة الأولى، وله في تاريخ الفكر أهمية، لا يدركه إلا من تعمّق في دراسة نفسية الشعوب ودراسة تطور الفكر عند البشر".[3]

---

[1]– عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهد في علوم اللغة وأنواعها، ص 486.

[2]– أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 69.

[3]– محمد إسماعيل هني، ناصف محمد مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1996، ص 14.

2. مفهوم الحكمة:

أ. لغـة:

لمفهوم الحكمة معاني كثيرة ومتعددة حيث تأخذ معنى العلم والإتقان، والعدل والعلم والفلسفة وغيرها، على حسب ما أوردته المعاجم المختلفة، ولهذا سنستعرض مدلول الحكمة في هذه المعاجم، وأول معجم نستأنس به هو لسان العرب لابن منظور في مادة حكم: "الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة: العدل، ورجلٌ حكيمٌ عدلٌ حكيم، وأحكم الأمر أتقنه، وأحكمته التجارب على المثل، ويقال للرجل إذا كان حكيماً، قد أحكمته التجارب".[1]

ومن خلال هذا التعريف نجد أن الحكمة تأتي لخاصة الناس بعدما يكون ذا علم واسع وفكر متعمق من خلال تجاربه الحياتية وكذلك أتت بمعنى العدل وذلك لما تنطوي عليه من قيم ونزاهة.

وذهب صاحب معجم مقاييس اللغة إلى أن: "الحكمة منع، لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكّمت فلاناً تحكيماً منعته عمّا يريد وحكّم جعل أمره إليه، والمحكّم المجرّب المنسوب إلى الحكمة".[2]

وهنا تعني المنع أي أنها تمحو عن صاحبها كل الصفات القبيحة، وتعلو به إلى مصاف الوقار والعلم.

وجاء في المنجد في اللغة والأدب والعلوم: "حُكم، حكمة: صار حكيماً، أحكَمَتْهُ التجارب: جعلته حكيماً، الجمع حِكَمٌ: الكلام الموافق للحق (الفلسفة) صواب الأمر/ وسداده/ العدل/ العلم/ الحلم.

---

[1]– محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ص 951–953.

[2]– أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ص 255.

الحكيم جمع حكماء: م حكيمة: صاحب الحكمة (العالم) قصيدة حكيمة: ذات حكمة، المحكّم: المجرّب".[1]

وفي هذا التعريف استوفى تقريباً جميع معاني الحكمة، بحكم أنها لديها عدة مدلولات منها الفلسفة، الحق ...

ب.اصطلاحاً:

الحكمة ضرب من ضروب الكلام الرفيع، الذي يجري مجرى المثل يصدر عن إنسان ذو خبرة ونظرة عميقة وتجربة في الحياة، وهي توجه إلى الناس لهدايتهم وإرشادهم، وهي قول رائع بعبارة موجزة يتضمن حُكماً سديداً وهي أرفع شأناً من الأمثال ولشدة أهميتها في توجيه وهداية الناس إلى الطريق السوي قد عرفها العديد من الباحثين:

- عرّفها "الرّاغب الأصفهاني" بقوله: "الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، والحكمة من الله معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات".[2]

فالحكمة من خلال هذا التعريف تعني أن قائل الحكمة يجب أن يكون ذا معرفة وصاحب عقل وخبرة في الحياة وحكمة الله معجزة لا يأتي بها بشر، وحكمة الإنسان فهي محصورة بها هو موجود وفعل الخير والمعرفة بالدين والفقه ومعرفة خبايا الشريعة الإسلامية والفهم الصحيح للحياة.

- أما في كتاب المصطلحات العربية في اللغة والأدب فقد اعتبرها خلاصة نظر عميق وملخص لتجارب وملاحظات تصدر عن عقل حكيم وفي هذا الصدد يقول مجدي وهبة وكامل المهندس: "الحكمة كلمة جامعة تلخص نظرية أو مجموعة ملاحظات وتجارب والمفروض أن يسلم بها الجميع، مثال ذلك قول المتنبي:

مَنْ يَهُن يَسْهل الهَوَان عَلَيه مَـا لِجُـرْح بِمَيّـتٍ إيـلاَمُ

[1]– الأب لويس معلوف اليسوعي: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط18، (د.ت)، ص 106.
[2]– أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ص 167–168.

- والحكم لدى عرب الجاهلية: الخبرة المحدودة التي تصورها عبارة قصيرة كقولهم: "في بيته يؤتى الحكم: وهو العاقل المجرب الذي يحكم بين الناس في منافراتهم ومفاخراتهم وخصوماتهم، وليس معناها الفلسفة كما كانت تعني في العصور الإسلامية.
- وفي آخر معلّقة "زهير طائفة" من الحكم منها:

وَممّا تَكُن عِنْدَ امرِئ مِنْ خَليقَة وَإِن خَالَها تَخْفَى عَلى النَّاسِ تُعلمِ"[1]

ومن هذا القول يتبين لنا أن الحكمة هي خلاصة التجارب الحياتية التي يعيشها الإنسان في حياته وما يتعرض إليه من مواقف تجعله يقف عندها إما يستفيد منها ويأخذ العبرة، والحكمة تأتي من شخص ذو علم وخبرة في الحياة فيأخذ بنصائحه ويُسمع له.

- واعتبرها الشريف الجرجاني علماً بقوله: "علم يُبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضاً هي هيئة القوة العقلية المتوسطة بين الجربزة التي هي إفراط هذه القوة والبلادة التي هي تفريطها".[2]

وفي هذا التعريف نجد أن الحكمة شاملة لجميع التصرفات الموزونة الدقيقة، أي أنها تنشأ عن علم ودراية ومعرفة وتجربة من الأقوال والأفعال أي أن الحكمة تأتي للعالم بالحياة وتفصيلاتها وأن يكون ذا وعي وخبرة عميقة في الحياة.

---

[1]– مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، م1، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 153.

[2]– عي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص81.

3. الفرق بين المثل والحكمة:

بعد أن تحدثنا عن الحكمة والمثل في اللغة والإصطلاح بإيجاز نحاول أن نظهر بعض الفروق بين المثل والحكمة:

- أن المثل أساس التشبيه، أي تشبيه مضربه بمورده، أما الحكمة فأساسها إصابة المعنى، ولا يراعى التشبيه فيها إلا إذا أصبحت مثلا.
- إن أسلوب الحكمة قد يطول نسبيا، أما أسلوب المثل دائما موجز.
- الهدف من المثل الاحتجاج أما الحكمة فالهدف منها الإعلام والوعظ.
- يصدر المثل عن جميع الناس، بمختلف طبقاتهم الفكرية والإجتماعية أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم فيلسوف.

"أما بالنسبة للعلاقة بين الحكمة والمثل، فنجد أنهما قد يلتقيان وهذا إذا كانت الحكمة موجزة العبارة، فيتهيأ لها بذلك أن تصبح سائرة بين الناس ومتداولة فتدخل بذلك في مجموعة الامثال، وفي هذا الصدد يقول أبو الهلال العسكري: "ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا. وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا".

وبهذا فالحكمة نوعان: نوع يسير بين الناس فيصبح مثلا، ونوع لا يتهيأ له ذلك فيبقى حكمة ولا يسمى مثلا".[1]

أي أن للمثل مضرب ومورد فمناسباته مخصصة شبيهة بمورده فيحين أن الحكمة التي هي نتيجة تجربته في الحياة فهي عامة أكثر. والمثل لا يمكن أن يكون حكمة، أما الحكمة قد تصبح مثلا إذا شاعت.

[1]– أنظر: عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية–دراسة تحليلية تاريخية–، ص ص 18–19.

4. مفهوم الزهد:

أ. لغـــة

أوردت المعاجم اللغوية معانٍ لكلمة الزهد وكما لا تكاد تخرج عن معاني الترك والقلة، عدم الرغبة وعدم الحرص ...

جاء في لسن العرب لابن منظور: "الزهد والزهادة في الدنيا، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة الزهد في الأشياء كلّها، ضد الرغبة، زهيد وزهد، وهي أعلى: يزهد فيهما زاهد وزهادا، الفتح عن سيباويه، وزهادة، فهو زاهد من قوم زهاد، وما كان زهيداً، ولقد زَهَدَ وزَهِدَ يزهدُ منهما جميعاً، وزاد ثعلب: وزهُد أيضاً بالضّمّ.

والتزهيد في الشيء: خلاف الترغيب فيه، زهّده في الأمر رغّبه عنه.[1]

وهنا نجد أن كلمة الزهد في قوله تعالى: "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين". (يوسف/20).

أما معجم جمهرة اللغة فقد جاء مفهوم الزهد: "الزّهد: خلاف الرّغبة زهدت في الشيء أزهد فيه زهداً وزهادة، والزاهد في الدنيا التارك لها ولما فيها، والجمع زهّاد، والازهاد: الفقر، قال الشاعر:

فلن يطلبوا سرها للغن ولن يتركوها لإزهادهـا

والزّهيد: القليل من كل شيء، يقال: مال زهيد وشيء زهيد أي قليل وفي كلام علي عليه السلام: "الزاهد زهيد والسفر بعيد"[2]، أي أن الزهد يعني القلة من كل شيء، وزهيد: قليل.

كذلك نجد الكلمة تحمل نفس المعنى في معجم مختار الصحاح:

---

[1]– محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ص 1872.

[2]– أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، م1، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ص 643.

"(التزهد) التعبد، و(التزهيد) ضد الترغيب، و(المزهد) بوزن المرشد القليل المال، وفي الحديث (أفضل الناس مؤمن مزهد)".[1]

فتزهّد: تعبّد، والتّزهيد: التّرغيب، وتعني أيضاً قلّة المال.

من خلال التعاريف اللغوية السابقة الموردة لمعنى "الزّهد" نجد أنها لا تخرج عن معاني الترك والقلّة وغيرها وهي تدور في نفس الحلقة وأيضاً قد تأخذ معنى التّعبّد.

ب. اصطلاحاً:

من المعاني اللغوية السابقة للزهد نرى تجلياتها في المعنى الاصطلاحي للكلمة، وقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم دقيق وموحد للزهد فجاءت تعريفات متباينة وأحياناً تكون متقاربة كل حسب رؤيته ومنظوره.

وهذا ما نلمسه في كتاب "الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس" لمحمد بركات البيلي، حيث يقول: "الزهد بمعناه الاصطلاحي لا يقتصر على ذلك المعنى البسيط الذي تشير إليه معاجم اللغة وإنما هو مفهوم معقد جداً إلى الدرجة التي لم يتمكن كثير من الباحثين من القول فيه بقول فصل في مسماه وفي معناه ولا في شأنه وتطوره ولا في ماهيته وأبعاده فكثرت في ذلك الأقوال وتعددت متقاربة أحياناً ومتباعدة أحياناً أخرى".[2]

ومن خلال هذا القول نجد أن الزهد لم يتفق عليه بمعنى معين ثابت فهو أشد تعقيداً مما يُرى عليه، ويختلف من باحث لآخر، وقد تكون متشابهة أو متباعدة.

- يعرّف سراج الدين محمد في كتابه "الزهد والتصوف في الشعر العربي":

" حنين الروح إلى مصدرها الأول ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتعها والرغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها".[3]

---

[1]– محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي: مختار الصحاح، ساحة رياض الصلح، بيروت، (د.ط)، 1986، ص 116.

[2]– محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، ص 87.

[3]– سراج الدين محمد: الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الكتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 5.

ويتبين لنا من خلال هذا التعريف أن الإنسان يزهد في الدنيا باعتبارها أمراً زائلاً فتهون عليه ولا يكترث لها، ويُرجِع اهتمامه للآخرة ويحمل لها ويعطيها القيمة الأكبر، وليس معنى هذا أن ينسى الدنيا تماماً فالدنيا لم تذم لذاتها بل للمعاصي والمذكرات التي يرتكبها الإنسان هي التي تذم، فالإنسان يعمل في الدنيا خيراً ويحمل على نشر الأمن والسلام فيه وبذلك يكسب الأجر والثواب في الآخرة.

- أما عبد المنعم خفاجي فقد ربط الزهد بالقناعة وعدم التركيز على الماديات فهي شيء فانٍ ويظهر لنا هذا من خلال تعريفه: "هو حركة تقشّف وانصراف عن الدنيا واكتفاء بالضروريات من وسائل العيش والحياة، وأن يخلى الرجل لقبه مما خلت منه يداه".[1]

أي أن الزهد يكون بالرضا بالقليل والقناعة، دون تكلّف ويحمد الله على ما أعطاه دون تذمّر، ويعيش حياة راضية قانعة بما كتبه الله له من الرزق.

- ونجد مجدي وهبه يعرّفه بأنه: "الإنصراف عن الدنيا ومفاتنها التمسك بالتقوى والعمل الصالح مع الكسب والعمل كأن الإنسان يعيش أبدا".[2]

ويتبين لنا من هذا التعريف أن الزهد هو الابتعاد عن الشهوات وملذات الدنيا، والسعي لكسب رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وجاء في كتاب الزهد والرقائق عدة تعريفات للزهد من قبل أئمة وفقهاء:

- يقول سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء"، وهنا يتبين لنا أن الإنسان يسعى إلى كيفية التعامل مع الشهوات والغرائز والسيطرة عليها وألا تشغله الدنيا على الآخرة سواء أقبلت عليه أو أدبرت عنه إذا أُعطي شَكَر وإذا مُنِع صَبَر.
- وقال الإمام أحمد: "الزهد في الدنيا قصر الأمل، وفي رواية عنه: عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه على إدبارها، فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً؟ فقال: نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت".

---

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 194.

[2]– مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 192.

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والذي أجمع عليه العارفون أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه من منازل الآخرة".[1]

وفي تعريف ابن تيمية نجد أنه أرجع الزهد روحياً أكثر مما هو مادي فهو لم يحصره في المادة فقط كما يرجعه بعض الصوفية وإنما هو يتعلق بالروح والقلب لا بالمال والمتاع في الدنيا.

- جاء في كتاب طلائع الصوفية عن الزّهد:

"وهو يعني أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله، يقول أحدهم عن الزاهد: (صدق فلان، قد غسل قلبه من الدنيا وجعلها في يده على ظاهره)، قد يكون الإنسان غنياً وزاهداً في ذات الوقت إذ أن الزهد لا يعني الفقر، فليس كل فقير زاهداً، وليس كل زاهداً فقيراً، والزهد على ثلاث درجات:

1- ترك الحرام: وهو زهد العوام.

2- ترك الفضول من الحلال: وهو زهد الخواص.

3- ترك ما يشغل العبد عن الله: وهو زهد العارفين."[2]

من خلال هذا القول يتبين لنا أن الزهد لا يمكن حصره بالفقراء فقط، فهناك أغنياء زهاد والعكس صحيح، فالزهد زهد القلب والصدق مع الله تعالى والسعي لكسب رضاه فالإنسان لا يقاس بغناه أو فقره فلا ندري ما في قلوب الناس، فقد نجد غنياً أفضل من ألف فقير، والزهد على درجات: الدرجة الأولى وهي ترك الحرام وهي لعامة الناس، أما الطبقة الثانية ترك الفضول من الحلال وهي للخواص ويقصد به أن يصل الزاهد إلى درجة أن يمنع نفسه عن أشياء حتى وإن كانت حلال كالأكل والشرب وما إلى ذلك، أما بالنسبة للدرجة الثالثة وهي ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهي أعلى درجات الزهد.

---

[1]- عبد الله بن المبارك المروزي: الزهد والرقائق، تح: أحمد فريد، دار المعراج الدولية، الرياض، ط1، 1995، ص ص 15-16.

[2]- أبو العزايم جاد الكريم بكير: طلائع الصوفية، (د.ط)، (د.ت)، ص ص 18-19.

ونستنتج من خلال التعريفات السابقة أن الزهد يدل على ترك ملذات الدنيا وشهواتها حباً للآخرة ورجاءً فيها، والزهد هو أعلى درجات الإخلاص لله تعالى، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "إزهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"، والزهد من خلال هذا الحديث هو وسيلة للوصول إلى محبة الله ورضوانه.

5. تطور الزهد في الشعر العربي:

عرف العرب قبل الإسلام العديد من المعتقدات والديانات كالوثنية وعبادة الكواكب والمسيحية واليهودية وغيرها، هذه الروحانيات أخذت تتطور مع تطور الحياة في شبه الجزيرة العربية فنجدها بعد أن كانت مجرد تديّن تطورت إلى زهد، ومع مرور الزمن تطورت إلى تصوف وهذا مع ظهور النظريات الفلسفية.

بدأت في الشعر ظاهرة يطلق عليها اسم شعر التديّن: "شعر التدين هذا كان مجرد أبيات منفردة تأتي عرضاً في قصيدة ما تعالج موضوعاً واحداً، كانت هذه الأبيات خلاصة لتجربة الحياة والتأمل، لهذا نجدها صادقة تعبر عن الموت وما بعده، ومع أواخر العصر الجاهلي بدت شبه الجزيرة العربية متعطشة للإصلاح الديني ومهيأة لظهور الدين الجديد بحيث كانت قصائد هذه الفترة شبيهة بمعاني الإسلام وهذا تأثراً بالديانات السابقة".[1]

"لقد نشأ الزهد نشأة إسلامية خالصة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مثالاً للإيمان والتقوى والمجاهدة، وقدوة صالحة للتابعين الذين عرفوا بالزهد في الدنيا والإعراض عنها والإقبال على الله، وقد حفلت كتب الطبقات بذكر أخبارهم ووصف أحوالهم وإثبات أقوالهم في النسك والزهد والعبادة، ومن هؤلاء التابعين فريق يعرف باسم "النساك"، وفريق آخر باسم "الوهاد"، وفريق ثالث باسم "العباد"، وفريق رابع باسم "البكائين"، وهي تدل جميعها على شدة العناية بأمر الدين، وقلة الإقبال على الدنيا وكثرة الذكر لله والتوكل عليه".[2]

لكن الإسلام وتعاليمه لم يتمكن من ردع الفتن التي نشأت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وتتالت الفتن على إثر الخلاف بين علي رضي الله عنه، ومعاوية ثم بين الحسين رضي الله عنه ويزيد، وتعددت الفتن مما دفع ببعض المسلمين إلى إنكار هذه الحوادث فعكفوا في بيوتهم حيث انصرفوا للعبادة وتركوا أمور الناس حتى يحكم الله بينهم.

---

[1]– سراج الدين محمد: الزهد والتصوف في الشعر العربي، ص ص 5-6.

[2]– نزار عبد الله الضمور: الزهد في الشعر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1433هـ-2012م، ص 20.

وجد الزاهدون خلال الإضطرابات العامة السياسية وخلال الصراع المذهبي والفساد الأخلاقي أنفسهم يهربون في زيق الحياة ويلجؤون للورع ويقبلون على القرآن والسنة الشريفة.

في هذه الفترة نشط الداعون إلى الله يذكرون الناس بتعاليم الإسلام فيعظونهم ويحذرونهم محاولين تطبيق الشريعة الإسلامية قدر المستطاع.[1]

"ثم ظهر شعر الزهد واضعاً في القرن الثاني وسط أجواء اللهو والمجون والخروج عن الدين وتمايز المجتمع إلى طبقات، أوسعها فقيرة فقراً مدقعاً والأخرى مترفة، كفلت لنفسها أسباب النعيم، واستأثرت بطيبات الرزق والحياة الدنيا".[2]

"مع العصر العباسي تطور الزهد كرد فعل وتيار مضاد لموجة الزندقة التي انتشرت بين الناس، وأصبح للزهد شعراء مختصون هجروا ملذات الدنيا وانقطعوا للعبادة فأفردوا شعرهم للزهد ولم يشغلوا أنفسهم بغيره، فتطور معهم الزهد وأوغل في الروحانية والفلسفة والحكمة، فأبو العتاهية سخَّر فنّه للحِكم والمواعظ يذكر فيها تقلبات الدهر فيها الآخرة وأهوالها. كما وزن بعض الشعراء الذي عرفوا بالمجون، توجهوا في آخر أيامهم نحو التوبة وبدت فقي أشعارهم نزعة الزهد الخالص كما في أشعار أبي نواس".[3]

---

[1]– سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، ص 6.

[2]– انظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط16، (د.ت)، ص 83.

[3]– سراج الدين محمد، المرجع السابق، ص ص 6-7.

الفصل الثاني:

موضوعات الحكمة التي اشتمل عليها شعر الزهد عند أبي العتاهية

1. الشيب والشباب.
2. الدعوة إلى القناعة والصّبر.
3. الموت.
4. الصّبر.
5. النّـــدم.
6. الطّمع في الدنيا ومتاعها.
7. الوعظ والنّصح.
8. الضلال والفتن.
9. الغنى.
10. الظلم.
11. التقوى.

تمهيد:

فرضت الحياة العباسية على أغلب الشعراء خوض أغراض الشعر لمواكبة الحياة الاجتماعية، ومن بين هذه الأغراض شعر الزهد والحكمة، فأينما ذكر الزهد ذكرت معه الحكمة التي جاءت فيها تضاعيف الشعر العربي الغنائي مستقلة حيناً؛ وغير مستقلة حيناً آخر، وعرف شعر الحكمة ازدهاراً واسعاً في القرن الرابع الهجري وكان متصلاً اتصالاً وثيقاً بشعر الزهد، وتعددت مواضيعهم الاجتماعية والدينية التي تناولها كالصداقة والأعمال الصالحة والسيئة مع إبراز المحاسن والعيوب في صور مثيرة، تخص على الأخلاق الفاضلة، وتنفّر من الأخلاق الذميمة، والحكمة تأتي من خاصة الناس وهذا لشدة نبوغها وقيمتها الأدبية، حيث يقول عبد المجيد قطامش: "والحكمة بهذا المعنى لا تصدر إلا عن فئات خاصة من الناس هم أولئك الذين أوتوا قسطاً موفوراً من الذكاء ونفاذ البصيرة، وفصاحة العبارة وبلاغتها، كالأنبياء والحكماء والفلاسفة والشعراء وغيرهم".[1]

وقد تضمن شعر أبي العتاهية الحكمي أسمى القيم التي ترضي العقل والخلق والدين، ففيه يعبر عن تجاربه الشخصية والاجتماعية والتاريخية والدينية، وعند دراستنا لشعر أبي العتاهية الحكمي وجدناه يشتمل على الموضوعات الآتية:

[1]– عبد المجيد قطامش: معجم الأمثال، دراسة تاريخية تحليلية، ص 18.

1. الشيب والشباب:

لعل من أهم مظاهر الخوف من مصير الإنسان هو إحساسهم بوطأة الزمن، ويظهر ذلك من خلال التفريط في جنب الله، والندم على ما مرّ من الحياة، فنجد الشعراء يذكرون في أشعارهم تقلّب الدّهر عليهم، ويذكرون الهرم كأهم محطة شغلتهم لأن فيها الضعف والمرض والشيب، ويتحسّرون على أيام الشباب والقوة؛ مع حنينهم لتلك الأيام، ولعلّ أبا العتاهية من الشعراء الذين أكثروا في ذكر الشيب والشّباب، حيث يقول:[1]

بَكيتُ عَلى الشَبابِ بِدَمعِ عَيني فَلَم يُغنِ البُكــاءُ وَلا النَحيــبُ

فَيا أَسَفا أَسِفــتُ عَلى شَبــابِ نَعاهُ الشَيبُ وَالرَأسُ الخَضيبُ

عَريتُ مِنَ الشَبابِ وَكُنتُ غَضّاً كَما يَعرى مِنَ الوَرَقِ القَضيبُ

فَيا لَيتَ الشَبــابَ يَعــودُ يَومــاً فَأُخبِرُهُ بِما صَنَــعَ المَشيــبُ

ففي هذه الأبيات نجد الشاعر يبكي أيام الصبا التي ولّت، متأسّفاً على حاله وقد غطّى السيب رأسه، متمنياً عودة الشباب يوماً ليحكي له ما فعلت به الشيخوخة؛ وهو المسن العاجز النادم على تلك الأيام.

وتتجلّى الحكمة هنا في البيت الرابع وهي أن فترة الشباب إذا انقضت فلن تعود، وعلى الإنسان استغلال شبابه للجد والعمل فما في الشباب لن يعود ولا مهرب من الشيخوخة إذا حلّت.

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1406هـ–1986م، ص 46.

2. العودة إلى القناعة والصّبر:

القناعة هي الرضا بالنصيب وبكل ما كتبه الله لنا، وعدم النّظر إلى ما عند غيرنا حتى لا نفقد ما نملك، فالقناعة كالكنز العظيم الذي لا يمكن أن يفنى أمّا الصّبر فهو قدرة الإنسان على تحمل ظلم الدنيا، أو قدرته على تحمل ما لا تطيق نفسه، وهو من الصفات المحمودة في ديننا، وأبو العتاهية يدعو إلى القناعة والصبر في هذه الأبيات:[1]

اِصبِر عَلى نُوَبِ الزَما نِ وَرَيبِـهِ وَتَقَلُّبِـــه

لا تَجزَعَنَّ فَمَــن تَعَـتَ تَبَ دامَ وَصلُ تَعَتُّبِه

شَرَفُ الفَتى طَلَبُ الكَفا فِ بِعِفَّةٍ في مَكسَبِه

يَرضى بِقَســمٍ مَليكِــهِ مُتَجَمِّـلاً في مَطلَبِـه

يدعو الشاعر هنا إلى الصبر على نوائب الدّهر وتقلباته والقناعة بما قسمه الله لك، والحكمة هنا تتجلى في أن الإنسان عليه أن يصبر على نكبات الدّهر والابتلاءات؛ والقناعة بما قسمه الله تعالى مهما كانت.

ونذكر بيتين آخرين أيضاً له يبين معنى القناعة والغنى حيث يقول:[2]

إنّ الغِنَى فِي النُّفُـوسِ وَالعِـ زّ تَقْوَى الله لاَ فِضَّة وَلَا ذَهَبُ

وَحَادِثَات الأَقْدَار تَجْرِي وَمضا بَكْرِي بِشَـــيء إِلَّا لَهُ سَبَـبُ

ومن هذين البيتين يتبين لنا أن الغنى غنى النفس لا غنى المال، وأن على الإنسان أن يرضى بقضاء الله وقدره، فكل شيء يحدث له إلا وله سبب لأنه من الله تعالى، وسيجازى عليه في الآخرة.

---

[1]– المصدر السابق، ص 64.

[2]– نفسه، ص 64.

3. الموت:

لعل أهم ما فرقه شعراء الزهد وأفاضوا في ذكره هو "الموت"، فقد كان سلاحهم في تخويف العصاة ولهذا انطلقوا في تصوير حالهم معه، ذاكرين بأن الدنيا فانية وأن الموت للناس جميعاً فلا مهرب منه، فالحياة ساعة وتنقضي فيجب على الإنسان استغلال وقته في عمل الخير وكسب رضا الله سبحانه وتعالى، وأبو العتاهية استطاع رسم طريقه بوضوح من خلال أشعاره، حيث تبدلت به الأحوال فالذي يتقصّى شعره يحسّ أن الشاعر قد دخلت نفسه مشاعر الخوف والقلق من المصير فجاء الموت في أشعاره نغمة حزينة يتخللها الخوف والقلق، فيقول أبو العتاهية:[1]

أَنســاكَ مَحياكَ المَمــاتا فَطَلَبتَ في الدُنيا الثَباتا

أَوَثِقــتَ بِالدُنيــا وَأَنـــــ ـتَ تَرى جَماعَتَها شَتاتا

وَعَزَمتَ مِنكَ عَلى الحَيا ةِ وَطولِــها عَزمــاً بَتاتا

يا مَــن رَأى أَبَوَيهِ في ما قَـد رَأى كانـا فَماتا

هَل فيهِـما لَكَ عِبــرَةٌ أَم خِلتَ أَنَّ لَكَ انفِلاتا

وَمَنِ الَّذي طَلَبَ التَفَلـ ـتَ مِن مَنِيَّتِهِ فَفاتــا

كُلٌّ تُصَبِّحُــهُ المَنِيـ يَــةُ أَو تُبَيِّتُــهُ بَياتـــا

نجد الشاعر قد أخذ فكرة أن الموت آت لا محالة، وفكرة أن الحياة أنست الناس في الموت، ويظنون الخلود في الدنيا، وقد أعطى الشاعر هنا دليلاً ألا وهو موت الأبوين، ليثبت أن الموت هو مصير جميع الخلق المحتوم، وتتمثل الحكمة هنا أن الانفلات من الموت لا يمكن أن يكون، فكلّ لا يدري متى تأخذه المنية؛ هل بالليل أم تنتظره حتى الصباح.

[1]– المصدر السابق، ص 93.

كما ذكر الموت في هذا البيت حيث يقول:[1]

المَوْتُ حَقّ وَالدّارُ فَانِيَةٌ وَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي بِمَا كَسَبَتْ

في هذا البيت يذكر أبو العتاهية الناس بأن الموت يترصد بالجميع وأننا سنموت لا محالة، لأنها حقّ على الجميع وكل الناس ستحاسب يوم القيامة.

[1]– المصدر السابق، ص 71.

4. الصّبر:

الصّبر من الصفات الحسنة والحميدة التي دعى إليها ديننا الحنيف، لأنه بالصّبر على نوائب الدّهر وتحمّل ظلم الدنيا وتقبّلها الله سبحانه وتعالى سيجعل مقام الصابر عالياً وكثيراً يوم القيامة، وفي ظل هذا السياق أبو العتاهية ذكره في شعره حيث قال:[1]

اصْبُر لِكُلّ مُصِيبَــة، وَتَجَلّــد وَاعْلَمْ بِأَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلّد

أَوْ مَا تَرَى أَنّ المَصَائِبَ جَمّة وَتَرَى المَنِيّةَ لِلْعِبَاد بِمَرصَد

مَنْ لَمْ يُصَب، مِمَّنْ تَرى، بِمُصِيبةٍ؟ هَـذَا سَبِيـلٌ لَسْتَ فِيهِ بِمُفْـرَد

وَإِذَا ذَكَــرْتَ العَابِدِيــنَ وَذُلَّهُـــم فَاجْعَل مَلاَذَكَ بِالإِلَه الأَوْحَــد

من خلال هذه الأبيات نرى أن أبو العتاهية ينصح الإنسان بالصبر على مصائب الدنيا وحنها وأن يعلم بأنه غير خالد، وأن كل شدة ستزول وألا يعترض على قضاء الله ويجعل ملاذه الأول والأخير التوكل على الله وحده فهو القادر على تحويل حزنه فرحاً، والحكمة هنا هو أن على الإنسان أن يعلم بأن بعد الشدة سيأتي الفرج وأن يضع ثقته الكاملة بالله سبحانه وتعالى فالدنيا فانية وكل شيء سيزول.

[1]– المصدر السابق، ص .129

5. النّــدم:

من المواضيع التي أفاض في ذكرها أبو العتاهية نجد النّدم، والذي يعتبر تعبيراً عاطفياً للشعور بالذنب والتحسّر على قول نطقنا به أو فعلناه، والرغبة في العودة زمنياً لإصلاح ما قمنا به، وأبو العتاهية تفطن جيداً له، فتطرق إليه وأخذ الناس يخص ويحذر من الوقوع فيه خاصة للإنسان الذي يعمل فيه لا وعظ ولا نصح ويتبين هذا من خلال هذه الأبيات:[1]

فَمَا لَكَ لَيْسَ يَعْمَلُ فِيكَ وَعْظٌ ولاَ زَجرُ، كَأَنّك مِنْ جَمَــاد

سَتَنْدَم إِذَا رَحَلْــتَ بِغَيْــر زَادٍ وَتَشْقَى، إِذْ يُنَاديكَ المُنَادِي

فَلاَ تَأْمَن لِذِي دُنْيا صَــلاحاً فَإِنّ صَلاحَهَا عَيْنُ الفَسَــاد

في هذه الأبيات نجد أن أبا العتاهية يتعجب للإنسان الذي يشتغل بالدنيا ولا يأبه للآخرة، ويبين أيضاً أنه غداً عندما يموت ويجد نفسه بغير زاد سيندم، لأن الدنيا تزول ولا يبقى إلا العمل الصالح الذي تلاقي به ربّك في الآخرة، والحكمة هنا في أن على الإنسان أن لا تغر به الدنيا وشهواتها فهي لا تدوم، ويعمل لكسب رضى الله تعالى قبل أن يفوت الأوان وتطوى صفحة العمر ويصبح الندم لا فائدة منه.

[1]– المصدر السابق، ص 138.

6. الطّمع في الدنيا ومتاعها:

إن السعي خلف متاع الدنيا وثرواتها الزائلة، رغبة في امتلاكها هو صفة مذمومة لأنها تحبس وتقيد صاحبها عن عمل ما قد يفيده في الدنيا والآخرة، وفي هذا الصدد قال أبو العتاهية عن الطمع:[1]

طَلَبـتُ المستقَرَّ بكـلِّ أرْضٍ فلمْ أرَ لِي بأرضِ مستقرّاً

أطَعتُ مَطامِعي فاستَعبَدَتني، ولَوْ أنِّي قنعتُ لَكُنْتُ حرَّاً

في هذين البيتين تحدث أبو العتاهية عن الطمع الذي يتحكم بالنفس الأمّارة بالسوء ويستعبدها ويجعلها مقيدة، وقد فطن لذلك ووجد أنه لا فائدة من الدنيا لأنها لا تدوم ولو أنه قنع بما قدمه الله له لكان حرًّا، والحكمة هي في عدم الطمع في الدنيا وأن يعيش الإنسان في قناعة كريمة ويرضى بما كتب الله له.

[1]– المصدر السابق، ص 168.

7. الوعظ والنّصح:

في مواعظ أبي العتاهية نجده يعتمد على مخاطبة نفسية الإنسان وطبيعتها وحاجاتها من حرص وطمع ولهو وحب للشباب والحياة كما ينبه لتقلب الزمان وزوال الحياة وينصح الناس بعدم الاكتراث والانشغال بالدنيا لأن الموت يترصد بنا وقد يأتي في أية لحظة، وأبو العتاهية كثيراً ما نلمسه في أشعاره تحدث عن الوعظ والنصح ومن أمثلة ما ذكرناه قوله:[1]

أَنَلهــو وَأَيّامُــنا تَذهَــبُ وَنَلعَبُ وَالمَوتُ لا يَلعَبُ

عَجِبتُ لِذي لَعِبٍ قَد لَها عَجِبتُ وَمالِيَ لا أَعجَبُ

أَيَلهو وَيَلعَبُ مَن نَفسُــهُ تَمــوتُ وَمَنزِلُــهُ يَخــرَبُ

نَرى كُلَّ ما ساءَنا دائِباً عَلى كُلِّ ما سَرَّنا يَغلِـبُ

نجد الشاعر في هذه الأبيات يبين حال المستهزئ بالموت وهو يعلم أنه نهايته لا محال، فتراه يتعجب ويستغرب من الذي يلهو ويلعب في هذه الدنيا وينسى مصيره فهو يترصد به أينما كان، فالبيت الذي يعمره الآن سيخرب يوماً، والحكمة التي تستنتج من هذه الأبيات أنه على الإنسان عدم اللهو والانشغال بالدنيا وأن يتفكر الموت ويعمل في الدنيا لنيل الثواب في الآخرة فهذه الدنيا لن تفيده فهي فانية اليوم أو غداً.

[1]– المصدر السابق، ص 51.

8. الضلال والفتن:

تعد الفترة التي عاش فيها أبو العتاهية فترة شاع فيها الضلال والفتن، والعدول عن الطريق المستقيم، فنجد أبا العتاهية قد ذكّر وحذّر الناس من الخطأ ودعا إلى عدم السير في طريق الشر، فهو يؤدي إلى الهلاك ونجده محذراً من الوقوع في الضلال والفتن فيقول:[1]

لله درّ النَّاس عَمَرتْ بِهِـــم، حَتَّى رَعُوا فِي رِيَاض الغيِّ وَالفِتَن

كَسَائِمَات رِوَاع تَبْتَغِي سَمْناً وَحَتْفُها لَوْ دَرَت فِي ذَلِك السِّمَـــنِ

يحذّر الشاعر الناس من الغرق في الفتن حيث شبّه الذي يسعى دائباً في الدنيا الزائلة بالأنعام التي ترسل لغرض الرعي لكنها تطلب المزيد وهي لا تدري أن هلاكها يكمن في السمن، فالذين يمشون في طريق الضلال والانحراف يجهلون أن موتهم وهلاكهم في هذه الطريق فهم كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

وتتضح هنا حكمة رائعة على أن الدنيا كماء كلما شربت منه اردت عطشاً، فالمتكالبون على الدنيا، الحارصين عليها يتخذون طريق الغيّ والفتن في تسيير حياتهم متجاهلين مصيرهم المحتوم الذي لا مهرب منه.

[1]– المصدر السابق، ص 145.

9. الغنى:

يعتقد كثير من الناس أن الغنى هو فقط كثرة المال لا أكثر، وأن من ليس كذلك فليس من أهل الغنى، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لفت النظر للمعنى الحقيقي للغنى حين قال: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، فكم من الناس عنده مال لا يحصى ولكنه يعيش فقراً حقيقياً وهو فقر الروح، فلا تراه سعيداً ولا مقانعاً ودائماً تجده خائفاً مهموماً يسعى إلى زيادة ماله خوفاً من الفقر"، وأبو العتاهية ألقى الضوء على معنى الغنى الحقيقي من خلال قوله:[1]

أجلّك قَوْم حِينَ صِرْتَ إِلَى الغِنَى وَكُلُّ غَنيّ فِي العُيون جَلِيل

وَلَيْس الغَنِيّ إلاّ غَنىً زين الفِـتَن عَشِيّة يَقْـري أَو غَدَاة يَنِيــل

يبين لنا الشاعر من خلال البيتين أن الناس يجلّون ويحترمون الغني ويحتقرون الفقير، ويبين لنا أن الغني هو من يكرم الضيف ويتصدق على الآخرين، وهنا حكمة بالغة جامعة وهي أن الناس تجلّ وتحترم الغني في ماله ولكن الغني الحقيقي هو غنى النفس والكرم.

[1]– المصدر السابق، ص 366.

10. الظلم:

إن الظلم من الأمور السيئة والمهينة التي يتعرض لها الإنسان، فالمظلوم يحس نفسه منبوذاً وأن الحياة غير عادلة معهم وهذا بسبب الأشخاص القاسية قلوبهم، الذين كلما ظلموا الناس شعروا بالسعادة، فهؤلاء أشخاص سيحاسبون ويأخذ كل واحد حقّه وأبو العتاهية تطرّق إلى الظلم في شعره واعتبره من الأمور اللئيمة حيث قال:[1]

أَمَـــا والله إنّ الظُّلْـــمَ لُـــوم وَلَكِنّ المُسيء هُو الظَّلُوم

إِلَى دَيَّان يَومِ الدِّين نَمْضي وَعِنْد الله تَجْتَمعُ الخُصُـوم

لِأَمر مَا تَضَرّفْـــت اللَّيَالـــي وَأَمْـــر مَا تَوَليـت النُّجُوم

سَتَعْلَم فِي الحِسَاب، إِذَا التَقَيْنَا غداً عِنْدَ الإِلَه، مَنِ المَلُوم

سَيَنْقَطِع التّرَوّح عَـــن النَّـــاس مِنَ الدُّنيا، وَتَنْقَطع الغُمُوم

في هذه الأبيات يبين أبو العتاهية حال الظالم يوم القيامة وأن المظلوم سيأخذ حقّه، فالظلم من أقبح الأمور وأبو العتاهية يحذّر منه، لأن الله لا ينسى المظلوم وسينصره حتى وإن طال الأمر والظالم يظلم نفسه وهو لا يعلم لأن الله سيعاقبه وسيُلام على ما فعله والحكمة هنا هو أن على الإنسان أن يحذر الظلم ويتّقيه، لأنه سيؤدي بصاحبه إلى الهلاك فكما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: "الظّلم ظلمات يوم القيامة".

[1]– المصدر السابق، ص 398.

11. التقوى:

من المواضيع المهمة التي تطرق لها أبو العتاهية وهي التقوى، فما أسوء حال الإنسان الذي يتجمّل باللباس الفاخر ولكن نفسه عارية من الأخلاق الفاضلة وقلبه خاوٍ من الإيمان وقد وضّح أبو العتاهية مفهوم التقوى بحق من خلال هذه الأبيات حيث يقول:[1]

إِذاَ المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَاباً مِنَ التُقَى تَقَلَّب عَرْيَاناً وَإِنْ كَانَ كَاسيَا

من خلال هذه الأبيات يبين لنا الشاعر أنه لا قيمة للمرء إذا ابتعد عن دينه وشرف نفسه فأصل الإنسان الافتخار بالتقى وتسلحه بالزهد وطاعة الله عز وجل، ويجعل ذلك فوق اللباس والمظهر فلا كرم كالتقى ولا فخر إلا فخر أهل التقى، وتتجلى من خلال هذه الأبيات حكمة بليغة وهي أن التقوى أشرف الملابس وأعزها وهذه حكمة تهم الإنسان في كل زمان ومكان لأن التجمل بلباس التقوى هو خير لباس.

[1]– المصدر السابق، ص 482.

الفصل الثالث:

الأمثال في شعر الزهد عند أبي العتاهية

1. النصح.
2. إخلاص النية.
3. تقلّب الدنيا وأحوالها.
4. الرضا بالقليل.
5. عدم القناعة.
6. سوء الفهم.
7. وصال الصديق.
8. الصديق.
9. الصمت.

تمهيد:

تعد الأمثال من الأشكال الأدبية التي لها حضور قوي في حياتنا، ولها مكانة كبيرة لدى الشعوب نظراً لحكمتها وخلاصة تجاربها العميقة، وهي من أكثر المواضيع التي تناولها الشعراء والأدباء منذ القدم، فهي: "عند كل الشعوب مرآة صافية لحياتها، تنعكس عليها عادات تلك الشعوب، وتقاليدها وعقائدها، وسلوك أفرادها ومجتمعاتها، وهي ميزان دقيق لتلك الشعوب، في رقيها وانحطاطها، وبؤسها ونعيمها، وآدابها ولغاتها ...، وقد بلغت العرب في ضرب الأمثال شأناً لا يدرك، فسلكوا فيها كل مسلك ولم يخل كلام لهم من مثل في تضاعيفه، كما زينوا فنون القول وتصاريفه، فلا عجب أن يهتم بها اللغويون العرب، الذين جمعوا لنا قدراً كبيراً، منذ فجر التأليف في العربية، وتناولوها بالشرح والتفسير كما جمعوا لنا قصصها التي حدثت بالفعل، أو حيكت حولها، وبينوا لنا موردها ومضربها، ورتبوها في ضروب مختلفة من الترتيب والتبويب".[1]

"فالأمثال تقف إلى جانب الشعر في الكشف عن حياة العرب، فهي تخط معه صفحات تاريخهم وتقاسمه الإبانة عن مظاهر البلاغة العربية التي لا يوجد لها نظير في سائر اللغات".[2]

ولهذه الأهمية البالغة التي تعكسها الأمثال فقد تطرّق إليها أبو العتاهية، وسنلقي الضوء على بعض الأمثال التي وظّفها في شعره.

---

[1]– رودلف زلهايم: الأمثال العربية القديمة، تح: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، ط1، 1391هـ–1971م، ص ص 7، 8.

[2]– انظر: عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، ص 6.

1. النصح:

إن النصيحة لها مكانة عالية ومنزلة كبيرة، لأنها تأتي من شخص صادق يريد الخير والمنفعة لمن ينصحه فهي تنطلق أساساً عن حب وبدون نفاق لأنها لو خرجت عن هذا المعنى لا تكون نصيحة وسنذكر أبيات لأبي العتاهية يقول فيها:[1]

لَعَمــرُكَ ما الدُنيــا بِدارِ بَقــاءِ كَفاكَ بِدارِ المَوتِ دارَ فَنــاءِ

فَلا تَعشَقِ الدُنيــا أُخَيَّ فَإِنَّمــا تَرى عاشِقَ الدُنيا بِجُهدِ بَلاءِ

حَلاوَتُـــها مَمزوجَـــةٌ بِمَــرارَةٍ وَراحَتُها مَمزوجَـــةٌ بِعَنــاءِ

فَلا تَمشِ يَوماً في ثِيابِ مَخيلَةٍ فَإِنَّكَ مِن طينٍ خُلِقتَ وَمــاءِ

في هذه الأبيات نجد أن أبا العتاهية يقدم مجموعة من النصائح والمواعظ للناس وخاصة الذي يعشق الدنيا وشهواتها وملذاتها وينسى الآخرة وأنه ميت لا محالة، وأن يكون متواضعاً لا مغروراً فالغرور هلاك للإنسان، كما يذكر الإنسان بأنه خلق من طين وماء فلا يغتر، وفي البيت الأول من هذه الأبيات وظّف الشاعر مثل مشهور متداول هو "لعمرك ما الدنيا بدار إقامة" إلا أنه استبدل إقامة ببقاء وهي نفس المعنى وهذا المثل يعني أنه "لا يصح للإنسان أن يجعل الدنيا أكبر همّه، لأنها ليست دار إقامة، فمقام الإنسان فيها محدود بأجله.

– الاستعمال: التحذير من الغرور بالدنيا".[2]

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 12.

[2]– محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص 24.

2. إخلاص النية:

وهو أن يعمل الإنسان عملاً خالصاً لوجه الله فالناس تحاسب على نياتهم، فعلى الإنسان أن يعمل عملاً صالحاً ويصاحب الناس الذي يستفيد منهم وسنذكر أبيات لأبي العتاهية حيث يقول:

"نافِس إذا نافَستَ في حِكمَةٍ آخِ إذا آخَيتَ أَهلُ التُقى

ما خَيرُ مَن لا يُرتَجى نَفعُهُ يَوماً وَلا يُؤمَنُ مِنهُ الأَذى

وَاللَهُ لِلنـــــاسِ بِأَعمالِهِـم وَكُـلٌّ ناوٍ فَلَـــهُ ما نَوى

وَطالِبَ الدُنيا الكدود بِهـا في فاقَةٍ لَيـسَ لَهـا مُنتَه"[1]

لقد استهل الشاعر هذه المقطوعة بنداء لكل إنسان أن ينافس في حكمة وأن يعاشر التقاة الذي ينتفع منهم فهذا ينفعه في الآخرة كما ذكر أن الأعمال تكون بالنيات فكل إنسان يحاسب على نيته وفي الشطر الثاني من البيت الثالث "وكل ناوٍ فله ما نوى" نجد أن أبا العتاهية اقتبسه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل تمرئ ما نوى"، وقد أصبح هذا الحديث مثلاً متداولاً بين الناس حيث "يحاسب الله سبحانه وتعالى الناس على نياتهم وليس على نتائج أعمالهم، لأن الله تعالى مطّلع على أسرار القلوب، فربما أتى الإنسان عملاً نتيجته طيبة حميدة ولكنه كان يقصد غير ذلك.

– الاستعمال: الحث على إخلاص النية".[2]

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 25.

[2]– محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص 38.

3. تقلّب الدنيا وأحوالها:

إن أحوال الدنيا تتغير ولا يبقى شيء على حاله، فعلى الإنسان أن يعيش ما تبقى ويعلم أنها غرور وستنقضي بسرعة فعلى الإنسان أن يعيش ما تبقى من عمره متدبراً ولا تغرّه الدنيا، يقول أبو العتاهية:

"أَلَا إِنّمـاَ الدُّنياَ مَتَـاعُ غُـرَورٍ وَدَارُ صُعُود مَرَّة، وَحُـدُور

كأني بيـوم ما أخـدت تأهبـا له رواحي، عاجلا، وبكوري

كفى عبرة إن الحوادث لـم تزل تصير أهل الملك أهل قبور

خليلي، كم من ميت قد حضرته ولكنني لم أنتفع بحضـوري"[1]

في هذه الأبيات يعبِّر الشاعر عن الرحلة التي يعيشها الإنسان وأنه عابر سبيل هذه الدنيا بغرورها وشقائها وتعاستها نهايتها الموت، والشاعر يتأثر بالقرآن الكريم، ويتضح في الشطر الأول من البيت الأول عندما قال "إنما الدنيا متاع غرور" فقد أخذ من الآية الكريمة قوله تعالى: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" (سورة الحديد/ الآية 20)، وبما أنه من الممكن الشاعر الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم فيقتبسها ويضعها في شعره فتصبح أمثالاً شائعة يستفيد منها الناس في حياتهم، وأبو العتاهية لم يخفى عليه هذا الأمر فاقتبس من هذه الآية ومن الممكن أن تكون مثلاً متداولاً يستعمله الناس.

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 196.

4. الرضا بالقليل:

من صفات المؤمن الصادق الرضا بالقليل وعدم التذمر وأن يكون قنوعاً بما قسمه الله له، فهذا سيشعره بالطمأنينة والراحة النفسية عكس الإنسان الذي يجري وراء الدنيا وينغمس فيها لإشباع الرغبات التي نهاية لها وفي خضم هذا الأمر أبو العتاهية تحدث عن الرضا والحرص على الدنيا في هذه الأبيات حيث يقول:[1]

سَأَقْنَع مَا بَقيتُ بِقُـوت يَـوْم وَلا أَبْـغي مُكَاثَــرةً بِمَـــال

تَعَالى الله، يَا سلم بنَ عَمْرُو أَذل الحِــرْصُ أَعْنَاق الرِّجَال

هَب الدُّنْـيا تُسَـــاقُ إليْـكَ عَفْواً أَلَيْس مَصِير ذَلِك للزَّوَال

في هذه الأبيات يدعو أبو العتاهية إلى القناعة بالقوت وأن على الإنسان ألا يكون أكبر همه كثرة المال ومحاولة زيادته فقط، ولا يكون حريصاً على الدنيا طامعاً فيها فالطمع يؤدي بصاحبه للذل والمهانة وأن على الإنسان أن يسلم بأن ما يعيشه الآن من حلو ومر سيزول فالدنيا ليست دائمة لأحد، وفي قول أبي العتاهية "أذل الحرص أعناق الرجال" يحيلنا إلى مثل مشهور وهو "تقطع أعناق الرجال المطامع"، فهذا المثل يعني أنه "كثيراً ما تجني أطماع الرجال عليهم، ويقضي الطموح البعيد على أصحابه، فيثقل كواهلهم ويحملهم ما لا يطيقون، وقد يجرهم إلى أفعال يستحقون عليها العقاب الشديد.

– الاستعمال: التحذير من الجري وراء الأطماع الواسعة".[2]

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص ص 337، 338.

[2]– محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص ص 97، 98.

5. عدم القناعة:

من أسباب سعادة البشر هو القناعة بما كتبه الله وعدم التذمر، فالقناعة كنز لا يفنى، والإنسان الذي لا يقنع لن يرتاح أبداً ويظل يسعى في هذه الدنيا الفانية بغير وجهة يحاول الزيادة في المال واتباع الشهوات وقد تحدث أبو العتاهية عن هذا الأمر قائلا:[1]

إِنْ كَانَ لا يُغْنِيكَ مَا يَكْفيكَ فَكُلّ مَا فِي الأَرْض لاَ يُغْنِيكَا

يبيّن الشاعر في هذا البيت أن الإنسان الذي لا يقنع بما يكفيه وما رزقه الله، ويتطلع دائماً إلى المزيد فإنه حتى ولو امتلك كنوز الدنيا لن يقنع لأن نفسه مريضة بالزيادة وعدم الشبع وهذا البيت يحيلنا إلى مثل من مِثل معناه وهو "ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له"" ويعني "أن الإنسان القانع لا يشعر بالفقر ولو كان فقيراً، أما من لا قنوع له فإنه لا يشعر بالغنى مهما كان عنده من أموال فالقناعة هي التي تجعل المرء راضياً مطمئناً سعيداً بما يملك وإن كان قليلاً.

– الاستعمال: الحث على القناعة".[2]

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 493.

[2]– محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص ص 89، 90.

6. سوء الفهم:

من آداب الحوار بين الناس حسن الإصغاء لكيلا يقعوا في مطبة سوء الفهم ونجد أن أبا العتاهية قد تطرق في أشعاره إلى ذلك، حيث قال:[1]

إذَا لَمْ يَكُن لَكَ حُسْنُ فَهْـم أَسَـأتَ إِجَابـةً وَأَسَـأتَ سَمْعًا

وَلَسْت الدّهْر مُتّسعًا لفَضْل إذاَ مَا ضَقتَ بالإِنْصَاف ذَرْعًا

من خلال قول الشاعر نفهم أن من سمعك جيداً فهمك وأحسن إجابتك فقد وصف الشاعر مع من يجيب من غير فهم وحسن إصغاء، فمن لم يحسن الاستماع إلى السائل، ولم يصب في إجابته فكانت إجابته سيئة لأنها صدرت من غير فهم للسؤال.

يشير هذا البيت إلى المثل القائل "أساء سمعاً فأساء إجابة" في شرح هذا المثل "الإساءة ضد الإحسان، والسمع تقدم، والجابة اسم من الاستجابة، يقال، إجابة والاسم: الجابة، كالطاعة والطاقة، بمعنى الإطاعة والإطاقة".[2]

---

[1]– شكري فيصل: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، دار المادح للطباعة والنشر، (د.ط)، 1384هـ–1965م، ص 230.

[2]– الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج3، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ–1981م، ص 182.

7. وصال الصديق:

من آداب أي مجتمع الاهتمام بالصداقة والصديق، ونجد أن أبا العتاهية قد تنبّه إلى هذا الأمر، فنظم في الأخوة والصداقة أشعاراً كثيرة يحثّ فيها على زيارة الصديق وعدم هجرانه فنجده يقول مثلا في هذه الأبيات:[1]

أَقْلِلْ زِيَارَتَك الصّديقَ وَلاَ تُطلْ هِجْرَانهُ فَيلِـج فِي هِجْرَانــه

واعْلَم بِأَنّك لاَ تُلائمُ كُلّ مَــن أَلْقىَ إِلَيْكَ، تَلَهّــفاً بِلسَانــه

إِنّ الصّديقَ يلجُ فِي غشْيــاَنه لِصَديقِهِ فَيَمَلّ مِن غِشْيَانــه

حَتى يَرَاه بَعْدَ طُـولِ سُــرُورهِ بِمَكانِه مُتَثاقِـــــلاً بِمَكَانــه

وَإِذاَ تَوانىَ عَنْ صِيَانَة نَفْســهِ رَجُلٌ تَنقّص واسْتَخفّ بِشَأْنه

في هذه الأبيات يبين لنا الشاعر ضرورة زيارة الصديق وأسس الزيارة بحيث لا تكثر من الزيارة ولا تقلل منها فطول الزيارة يولّد الملل وانعدامها يولد الكره والبغض والاستخفاف، ولكن إذا كانت الزيارة من حين إلى آخر فإنها تولد السرور والفرح.

تدلنا هذه الأبيات إلى المثل القائل "زر غباً تزدد حبًّا" وفي شرح هذا المثل: "أن الزيارة معروفة والغب هو الماء أن ترد الإبل يوماً وتدع يوما فهي إلى غابّة وغواب، وغبّ كل شيء: عاقبته، وأما في الزيارة فقال الجوهري قال الحسن: الغبّ الزيارة كل أسبوع يقال: زر غبًّا تزدد حبًّا. انتهى".[2]

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 447.

[2]– الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص ص 148، 149.

وهذا الكلام قد يروي حديثاً مرفوعاً، وهو أمر بأوسط الأمور وأفضلها في أحدهما الإكثار من الزيارة والإفراط فيها، وهو يوجب السآمة والملل، والضجر، والثاني الإقلال منها جداً والإفراط في الغيبة والقطيعة، وهو يوجب الوحشة والتقاطع والتباغض".[1]

- وزار غبا: جاء يوماً وغاب يوماً، زار مرّة وترك مرّة.

"لا تكثر تكرار زيارة أصدقائك وأحبابك حتى لا يملوا محبتك، وينبغي أن تعاود الزيارة بين وقت وآخر حتى يزداد حبهم لك وشوقهم إليك".[2]

[1]- المصدر السابق، ص 149.

[2]- محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص 9.

8. الصديق:

في خضم الحياة المتلاطمة الأمواج تظهر حاجة الإنسان إلى من يأخذ بيده إلى بر الأمان ولا سبيل لذلك إلا وجود أصدقاء، وخلان يختارهم الشخص ليكونوا خير أعوان لتقلبات الدهر، وقد قال أبو العتاهية اشعاراً عديدة عن الصديق والصداقة وموصفات الصديق الحقيقي وحسن اختيار الأصدقاء، فيقول في هذه الأبيات:

"إنّ أَخَاك الصّدق مَنْ كَانَ مَعَك وَمَنْ ضَـرّ نَفْسَه لِيَنْفَعَـك

وَمَنْ إِذَا رَيبَ الزّمَان صَدعَــك شَتَّــتَ شَمْلَــهُ لِيَجْمَعَــك"[1]

فالشاعر من خلال البيتين يبين صفة الصديق الحق، فهو السند الدائم الذي تجده إلى جنبك في حالاتك الصعبة، ففي نظره أن الصديق هو الذي يصل به الحد إلى أن يضر نفسه لينفعك، وأن من صفاته أنه إذا تقلب الزمان وتعرض صديقه للمصائب وإذا ما افترقا تجده يفعل كل شيء ليجمع الشمل.

هنا نجد الأبيات تقترب من المثل القائل "أخوك الذي إن تدعه لملمّة يجبك"، وفي معنى هذا المثل: الملمّة: النازلة الشديدة من شدائد الدّهر، الصديق الحق هو الذي يلبيّ ندائك ويستجيب لدعوتك ويسرع لنجدتك، ويقف معك يساندك ويؤازرك وخصوصاً في الملمات والمصائب".[2]

[1]– شكري فيصل: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص 274.

[2]– محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص 78.

9. الصمت:

يعد الصمت أسلوب أو ردة فعل يقوم بها الإنسان عند تعرضه لموقف ضغط يفوق قدراته على التحمل، وهو نوع من الترفع عن أحاديث الثرثرة التي لا تجدي، ولا تؤدي نفعاً لصاحبها، فيفضل أن يتوقف عن الكلمات، فالصمت فن، من يتقنه لا يخفق أبداً في تحقيق مراده في أي ظرف كان أو موقف، أو زمن.

ونجد في شعر أبي العتاهية الكثير من الأبيات التي تحث على التقليل من الكلام والصمت عند الضرورة فنجده يقول مثلا:[1]

كَذَا قَضَى الله، فَكَيْف أَصْنَع الصَّمْت، إِنْ ضَاقَ الكَلاَم، أَوْسَع

فالشاعر هنا يحث على ضرورة الصمت إذا ضاق عليك القول في مواقف تحدث لك.

يشير هذا البيت إلى المثل القائل "بعض السكوت يفوق كل بلاغة"، وفي شرح هذا المثل: "بعض المواقف يكون السكوت فيها محموداً، ويفهم العقلاء من هذا السكوت أشياء كثيرة ما كان الفصيح البليغ بقادر على إيصالها أو التعبير عنها التعبير المناسب".[2]

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 494.

[2]– محمود إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، ص 45.

الفصل الرابع:

دراسة فنية للأمثال والحكم

1. التشبيه.
2. الاستعارة.
3. الكناية.
4. الطبـــاق.
5. الجناس.

1. التشبيه:

يعتبر التشبيه أحد أعمدة فن البلاغة العربية، ولا تقل أهميته عمن سواه من الأغراض الأخرى، إذ يعتبر النص الأدبي عامة والشعر بخاصة متنفسا رحبا لهذا الغرض الذي يحل أينما أحب صاحب النص وضعه، ويعرف التشبيه على أنه: "الاختيار بالشبه، وهو إذاً اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات".[1]

أي أن التشبيه يجمع بين شيئين اثنين، كانا قد اشتركا في صفة أو صفتين، وقد تكون أكثر من صفة.

وقد تطرق جابر عصفور إلى الحديث عن مفهوم التشبيه فقال عنه: "التشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة، أو مجموعة من الصفات والأحوال، هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني، الذي يربط بين الطرفين المقارنين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية، أو في كثير من الصفات المحسوسة.[2]

فالكاتب –جابر عصفور–لا يكاد يخرج عن المعنى أو التعريف الذي ذكر آنفاً –لعبد العزيز عتيق–

وقد قيل عن التشبيه حديثا أنه: "الدلالة على أن شيئاً أو صورة تشترك مع شيء أخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة".[3]

---

[1]– عبد العزيز عتيق: فن البلاغة العربية وعلم العروض والقوافي، دار الأفاق العربية، القاهرة، (د.ط)، (د.ك)، ص256.

[2]– جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي، والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م، ص 172.

[3]– مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص99.

وللتشبيه أنواع نذكرها وهي:

أ. **التشبيه المرسل.**

ب. **التشبيه التمثيلي:** "وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منزوعة من متعدد أمرين أو أمور... ولا يشترط فيه غير تركيب الصورة، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبة حسية أو معنوية".[1]

ج. **التشبيه البليغ: "**وهو التشبيه الذي حذفت منه الأداة، ووجه الشبه، فبلغ شغاف القلوب، في معانيه، بتقريب المشبه من المشبه به".[2]

– وبالعودة إلى ديوان أبو العتاهية نجد بأن شعره لا يخلو من وجود التشبيه وإذ كان تشبيها تاما في كثير من الأحيان إذ يقول:

"عُريتُ مِنَ الشّبَاب، وَكُنتُ غُصْنا كَمَا يُعَرّى مِن الوَرَقِ القَضِيبُ"[3]

فالشاعر في هذا البيت يشبه الغصن بالقضيب، وهذا الترتيب أصلي للتشبيه، لأن الشاعر قد استوفى جميع عناصر التشبيه، فالمشبه هو "الغصن" والأداة هي (الكاف) والمشبه به هو "عراء القضيب"، أما وجه الشبه الذي يجمع بينهما فيكمن في صفتي الجمال والحيوية، فالقضيب يكتسب جماله بالأوراق، أما الإنسان فجماله يكمن في شبابه.

ونجده في موضع أخر يوصف التشبيه التمثيلي حين قال:

"لله دُرّ أُناسٍ عَمُرت بِهِم حَتَّى رَعُوا فِي رِيَاض الغِنَى وَالفِتَن.

كَسَائِمات رَوَاع تَبْتَغي سَمْناً وَحَتْفُهـــا لَوْ دَرَت فِي ذَلِك السِّمَـن"[4]

---

[1]– عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص86.

[2]– احمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، (د.ط)، 2007م، ص330.

[3]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص46.

[4]– نفسه، ص 145.

فالشاعر رسم من خلال هذه الأبيات صورة للناس الذين يمشون في طريق الضلال والفتن بصورة الحيوانات التي ترعى منهمكة، وهي لا تعلم ولا تدري بأن مصيرها ونهايتها الحتمية هي الموت، وبالتالي فأبو العتاهية هنا يؤكد بأن الدنيا لا تستحق هذا الاهتمام العظيم، ولو كانت بالفعل تستحق هذا الاهتمام لما كانت لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

2. الاستعارة:

– يعرفها الجرجاني بقوله: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تصفح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتغير المشبه، وتجريه عليه"[1]. إذن فالاستعارة تشبيه مختصر، ولكن أبلغ منه، لأنه حذف أحد ركنيه، ووجه الشبه وأداته، وأركانه مستعار منه، ومستعار له، وقد زينت الاستعارة بنوعيها ثنايا الديوان المدروس لأبي العتاهية، المكنية منها والتصريحية، ولكننا سوف نتكلم عن المكنية فقط، حيث يعرفها الجرجاني بأنها: "أعلم أن الاستعارة في الجملة للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا، تدل الشواهد على أنه اختص به حيث وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية".[2]

– وقد تحدث عنها عبد العزيز عتيق في كتابه علم البيان بعد أن أورد عدة تعريفات للاستعارة لكبار رجال البلاغة العربية وخرج بنقاط وهي:

أ. "الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

ب. وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه.

ج. تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له واللفظ مستعاراً.

د. وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية".[3]

– إذن فالاستعارة المكنية تشبيه حذف منه المشبه به، وترك المشبه، مع ذكر لازمة من لوازم المشبه به.

وسنذكر مثالين لتوظيف أبي العتاهية الاستعارة المكنية في قوله:

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح ياسين اليوبي، المكتبة المصرية، ط1، 2002م، ص67.

[2]– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح محمد فاضلي، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص29.

[3]– عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص175.

"وَحَادِثَات الأَقْدَار تَجْري وَمَا تَجْرِي بِشَيء إِلاّ لَهُ سَبَب"[1]

إذ نلاحظ أن هذا البيت يحتوي على صورة بيانية متمثلة في الاستعارة في قوله "الأقدار تجري" حيث حذف المشبه به وهو الإنسان وذكر صفة من صفاته وهي "الجري"، أما المشبه هو "الأقدار" وعلى سبيل الاستعارة المكنية، وهي تعمل على تقوية المعنى وتوضيحه.

كما نجدها أيضا في هذا البيت:

"أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْني وَلَو أَنّي قَنَعْتُ لَكُنْتُ حُرّا"[2]

في هذا البيت الشعري شبه الشاعر المطامع بالإنسان الذي يستعبد، ونسب إليه خصلة الطمع، فحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك لازمة من لوازمه وهي "صفة الاستعباد" على سبيل الاستعارة المكنية، وتكمن جمالية هذه الاستعارة في أن الشاعر عمد إلى إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله على سبيل التشخيص.

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص57.

[2]– نفسه، ص 168.

3. الكناية:

تعد البلاغة العربية من أهم حقول الدراسة الأدبية، حيث تزخر بأنواع من الصور والأساليب البيانية والأدبية والتي من شأنها إضفاء جمالية على النص الأدبي، والكناية هي جزء لا يتجزأ من علم البلاغة العربية، وتعرف بأنها: "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي (...) فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه، ويلجأ إلى لفظ أخر موضوع لمعنى أخر الذي يريد فيعبر به عنه".[1]

– ويعرفها عبد القادر الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيؤمن به إليه ويجعله دليل عليه".[2]

وللكناية أنواع أو أقسام هي كالآتي:

أ. "كناية عن صفة: وهي التي يكون فيها المعنى المكنى عن صفة من الصفات.

ب. كناية عن موصوف: وهي التي يكون فيها المعنى المكنى عنه موصوفا، اي اسم ذات.

ج. كناية عن نسبة: وهي أن تذكر الصفة والموصوف إلا أنك بدلا من أن تنسب هذه الصفة لصاحبها، تنسبها لشيء أخر يتعلق بالموصوف".[3]

– ولقد وظّف أبو العتاهية الكناية رغبة منه في توضيح المعنى وإضفاء مسحة جمالية على شعره فيقول:

"فَتَشْت ذِي الدُنْيا، فَلَيسَ بِهاَ أَحَد أَراه لِأَخر حَامِـــد

حَتّى كَأَن النَّـاسَ كُلُّهُـــم قَدْ أُفْرِغُوا فِي قَالَبٍ وَاحِد"[4]

---

[1]– البسيوني عبد الفتاح فيود: علم البيان، ص223.

[2]– بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية، دار الكتاب الجديدة، المتحدة، ط1، 2008، ص295.

[3]– المرجع نفسه، ص ص 298، 299.

[4]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 162.

إذ وظف الكناية في البيت الثاني "أفرغوا في قالب واحد" إذ يصوّر عدم ذكر بعض الناس لمحاسن غيرهم، وتساويهم في هذه الصفة، وكأنهم صبوا في قالب واحد، فالكناية هنا جاءت كناية عن "صفة".

ويقول أيضا:

"المَوتُ حَقّ وَالدَّارُ فَانيةٌ وَكُلّ نَفْس تُجْزَى بِمَا كَسَبت"[1]

فهذا البيت الشعري يحتمل مدلولين هما: المدلول الأول: كناية عن كون الدنيا دار بقاء وبالتالي فهي مسكن وإقامة، أما المدلول الثاني: فهي كناية عن زوال الدنيا وفنائها.

ويقول أيضا:

"إن كَانَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلّ مَا فِي الأَرْضِ يَكْفِيك"[2]

ففي البيت كناية عن عدم القناعة بما لدى الإنسان وما أوتي من رزق، وأنه دائما ما يتطلع إلى المزيد، ومع ذلك ولو أوتي كنوز الدنيا ما قنع.

وبالتالي يظهر أن لكثرة الكنايات وتوظيفها في شعره –أي شعر أبي العتاهية–إن دل على شيء إنما يدل على النفسية المضطربة لصاحب هذه الأشعار، إذ يعاني في مجتمعه، وبين أقربائه، فهو بهذا الصدد يريد أن يذكر أو يسرد لنا صفات من حوله، في قالب فني وشعري جميل ومتميز.

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 71.

[2]– نفسه، ص 493.

4. الطبـاق:

الطباق فن من فنون البديع اللفظي، حيث يساهم في إبراز المعاني الصوتية، وإعطاءها نغما موسيقيا عذبا، ويقصد بالطباق: "الجمع بين متضادين، وذلك لإثارة القارئ وإيقاظ نفسه".[1]

وعرفه علي الجارم ومصطفى أمين بما يلي:

– "الطباق الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان:

أ. طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

ب. طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً"[2]

– إذن فالطباق الإيجاب هو ما صرّح بإظهار الضدين، والطباق السلب هو ما لم يصرّح فيه بإظهار الضدين، وتكون المطابقة فيه بالنفي.

وبالعودة إلى الديوان نجد أن الشاعر وظّف الطباق بنوعيه لما له من جمالية الدلالة وتقوية المعنى وإبرازه، ومن أمثلة ذلك:

– **في الطباق الإيجاب:** جاء هذا النوع من الطباق في قول الشاعر:

"فَلَا تَأمَن لِذِي الدُنْيَا (صَلاحاً) فَإِن صَلاَحَها عَيْنُ (الفَسَاد)"[3]

– ورد الطباق بين (صلاحا/ الفساد) إذ بينهما تضاد تام وكلي، وهذا الطباق زاد المعاني قوة ووضوحا لأنه بالأضداد تتضح المعاني.

ونجد الطباق الإيجاب أيضا في قوله:

إذاَ المَرءُ لمْ يَلْبَس ثِيَاباً مِنَ التُّقى تَقَلّب (عَرِيَاناً) وَإِن كَانَ (كَاسياً).

إذ ورد الطباق في هذا البيت الشعري بين كلمتي (عرياناً ≠ كاسياً).

---

[1]– محمد علي سلطاني: المختار في علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص 150.

[2]– علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، ص281.

[3]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 482.

وأيضا في قوله:

لَيْسَ الغِنَى إِلَّا غِنَى زيَّن الغِنَى (عَشِيةً) يَقري أَو (غَدَاة) يَنِيل

فنلاحظ أن الطباق موجود ويظهر بين كلمتين (عشية/ غداة).

- ونجده أيضا يجمع بين متضادين (الحلاوة/ المرارة) و(الراحة/ العناء) وذلك في قوله:

(حلاوتها) ممزوجة (بمرارة) و(راحتها) ممزوجة (بعناء)[1]

ومن ذلك قوله أيضا قوله في هذا البيت الشعري:

أَنْساكَ (مُحَياكَ) (المَمَاتَا) فَطَلَبْت فِيَا الدُّنْياَ الثَّبَاتَا[2]

- إذ نجد الطباق وارد بين لفظتي (المحيا/ الممات).

- **في الطباق السلب:** أما بالنسبة لهذا النوع من الطباق نجده وارداً في قول الشاعر:

أَنَلهُـو وأَيامُـناَ تَذْهَـبُ وَ(نَلْعَب) وَالمَوتُ (لاَ يَلعَب)[3]

- ورد الطباق في هذا البيت الشعري بين (نلعب/ لا يلعب).

ومن خلال ما تقدم نحسب أن الشاعر قد اعتمد المتضادات لمالها من دلالات تستقطب المتلقي، وتجذب فكره ليعيش في خضم الحدث، ولا يخفى ما للطباق من قوة البيان والتبيين، وقد قيل قديما: بضدها تتميز الأشياء، وهذه الثنائيات المتضادة في شعر أبي العتاهية تنصب في حقل دلالي واحد ولكنها تختلف في الحقل المعجمي وهي كما ذكرناها سابقا تتمثل في: (الصلاح/الفساد)، (عريانا/كاسيا)، (المحيا/الممات)، (عشية/غداة)، (حلاوة/المرارة)، وهي تدل أحيانا على تقلب الأحوال وأن لا شيء دائم فكل شيء يؤول إلى الزوال والاندثار، وأحيانا يذكر كلمات تدل على الأمل والتفاؤل.

---

[1]- المصدر السابق، ص 73.

[2]- نفسه، ص 93.

[3]- نفسه، ص 51.

5. الجناس:

يقول عبد الله ابن المعتز: "التجنيس أن تجيء الكلمة تجاني الأخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها".[1]

"وحقيقة الجناس عند ابن الأثير أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفا، وذلك يعني أنه هو اللفظ المشترك، وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي بشيء.

وعلى هذا فالجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافها في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يسميان "ركني الجناس" ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة".[2]

- أقسام الجناس:

أ. **"الجناس التام:** هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة والسكنات وترتيبها، وهذا هو أكمل أنواع الجناس ابداعا وأسماها رتبة".[3]

ب. **"الجناس الغير التام:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة التي يجب توفرها في الجناس التام".[4]

وسنذكر مثالين للجناس الغير التام ذكرهما أبو العتاهية في شعره نحو:

أَنْسَاك مُحَياكَ (المَمَاتاَ) فَطَلَبتَ فِي الدنْياَ (الثَّبَاتاَ)[5]

وهي في لفظة المماتا والثباتا وهو جناس غير تام وهذا الأخير أنواع ونوعه هنا جناس مضارع الذي يعني التشابه في المخرج.

---

(1)- عبد العزيز عتيق: علم البديع، ص195.

(2)- نفسه، ص 196.

(3)- نفسه، ص197.

(4)- نفسه، ص205.

(5)- كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 93.

والمثال الثاني في قوله:[1]

أصْبِر بِكُل مُصيبَة وَ(تَجَلّد) وَاعلَمْ بأَنَّ المَرْء غَيرُ (مُخَلّدِ)

وهو يتضح في كلمتي تجلد ومخلد وهو أيضا جناس غير تام نوعه جناس مضارع.

[1]– كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 129.

الخاتمـــة

خاتمـــة

بعد هذا المشوار الذي دام عدة أشهر من الزمن وصلنا في نهاية مطاف هذا الموضوع الى نتائج تقسيمية تعتبر خلاصة لما تم نقله من هذا البحث المتواضع، ومن ذلك:

1. أن الحكمة والزهد مُتلازمان فأينما ذكر الزهد ذكرت الحكمة وأن الشاعر يعبر فيها عن تجربته الشخصية والاجتماعية والتاريخية والدينية، وأنها تتضمن أسس القيم التي ترضي العقل والخلق والدين.
2. وظف أبو العتاهية الكثير من الحكم في شعره مما يدل على توجهه، فقد تعددت موضوعات شعر الحكمة في شعر الزهد وتنوعت في قصائده، وكان الموت أكثرها، ثم جاء ما يتصل بالموت من وصف القبور والتنفير من الدنيا والقناعة، وذم الحرص على المال، النصائح والمواعظ وذكر الشيب والشباب وغيرها.
3. وظف الشاعر العديد من الأمثال في شعره وكانت أرجوزته الشهيرة حاملة للكثير من الأمثال العربية وهذا ما يدل على نبوغ وتطلع الشاعر ومعرفته الكبيرة بالتراث العربي في مجال الأدب.
4. استخدام أساليب البيان المختلفة في شعر الزهد لدى أبي العتاهية لرسم الصورة الشعرية فجاءت الصورة حية متحركة للموت والدنيا والغرور، الوعظ والنصح.
5. نجد في شعر أبي العتاهية الكثير من التشبيهات والاستعارات والكنايات، وكان لتوظيفها أثرا كبيرا في ايصال المعنى للقارئ بصورة مجسدة بإبداع وجمال.
6. عاش أبو العتاهية عصرا مليئا بالتناقصات الفكرية أدت بالفكر العربي الى السقوط في هاوية المجون والزندقة انعكست على الشعر والأدب بصفة عامة وذلك بفعل التمازج الثقافي والديني والسياسي والاجتماعي في المجتمع العباسي.

7. ظهور تيارات تخالف الدين الاسلامي في التشريع في هذه الفترة، قابلة ظهور تيار معارض قصد الاصلاح والوعي، وكان من هؤلاء أبو العتاهية الذي جعل من شعره وسيلة للإرشاد والوعظ.

وفي الختام لا يسعنا إلا الإقرار بتوسع هذا الموضوع بحيث لا يمكن الإحاطة بكل جوانبه في رسالة الماستر، لكننا حاولنا البحث فيه ولو بالشيء اليسير، ونتمنى أن يكون هذا البحث أفادكم ولو قليلاً.

ملحـــق

نبذة عن حياة أبو العتاهية:

- نسبه وحياته:

أبو العتاهية كنية غلبت عليه، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة، كنيته أبو إسحاق، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة.

أمّا سبب كنيته بأبي العتاهية ففيه قولان: أحدهما أن الخليفة المهدي قال يوماً له: أنت إنسان متحذلق معتّه، فاستوت من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته، وصارت له بين الناس.

والقول الثاني لمحمد بن يحيى قال: "كنّي بأبي العتاهية إذ كان يحب الشهرة والمجون والتعتّه".

وليس من الغريب أن تستوي له هذه الكنية، فقد كان في شبابه يعاشر الخلعاء ويحمل زاملة المخنثين.[1]

ولد أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان في "عين التمر" بالقرب من الأنبار سنة 130هـ، وكان أبو نبطيا من موالى بني عنزة، أما أمّه فكانت من موالى بني زهرة، وكان أبوه يشتغل بالحجامة، ويظهر أن سبل العيش ضاقت به في بلدته، فانتقل منها إلى الكوفة بأسرته، ومعه إبناه الصغيران، زيد وأبو العتاهية (...)، إذ نشأ في أسرة فقيرة مغموراً لا يعتز بأي شيء في دنياه من جاه ولا حتى ثروة ضيقة.[2]

كان في أول أمره يبيع الجرار الخضر يحملها في قفص على ظهره، ويدور في الكوفة وقيل: "بل كان يفعل ذلك أخوه زيد"، وسئل بذلك فقال: "أنا جرار القوافي وأخي جرار التجارة" على أن عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل، يقول: أنا رأيت أبا العتاهية، وهو جرَّار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون فيها".

---

[1]- كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 05.

[2]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 237-238.

ولكن نفسه الميالة إلى الشعر جعلته يترك هذه المهنة ويزاول الشعر فانطبع عليه حتى صار فيه كما قال عن نفسه: "لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت".[1]

- شاعريته وشعره:

روي عنه أنه: "كان حلو الإنشاد مليح الحركات، شديد الطرب، أقدر الناس على وزن الكلام حتى أنه كان يتكلم بالشعر في جميع حالاته ويخاطب به جميع الناس".

ويظهر من قول الأغاني أنه كان: "غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ كثير الإفتتان، قليل التكلّف، إلا أنه مع ذلك كثير الساقط المرذول".[2]

واشتهر أمر أبي العتاهية في الكوفة وأخذ يختلط ببيئات المجّان من الشعراء أمثال مطيع بن إياس ووالبة، كما أخذ يختلف إلى حلقات العلماء والمتكلمين في مساجد الكوفة، مما أتاح له إتقان العربية والوقوف على مذاهب أصحاب النقالات، وهو في أثناء ذلك يكثر من نظم رقائق الغزل ومن الغدو والرواح إلى نوادي القيان والمغنيين.[3]

ويظهر أنه كان قد اشتهر في الشعر لأن الخليفة المهدي لم يسمع بذكره حتى أقدمه إلى بغداد، فامتدحه أبو العتاهية ونال جوائزه، واتفق أن عرف شاعرنا عتبة جارية المهدي، فأولع بها وطفق يذكرها بشعره، فغضب المهدي وحبسه، ولكن الشاعر استعطفه بأبيات، فرقّ له المهدي وخلّى سبيله.

ثم اتصل بموسى الهادي، بعد موت المهدي، ثم بالرشيد بعد الهادي، فنادمه، ولكن ما لبث أن منادمته، وعدل عن قول الشعر إلى التصوّف، وكسر جرار الخمر، وتزهّد، وأخذ يذكر الموت

---

[1]- كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 06.

[2]- نفسه، ص 06.

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 238.

وأهواله فحبسه الرشيد، ثم رضي عنه، فأطلقه فعاد إلى الشعر، ولكنه ترك الغزل والهجاء حتى توفي.[1]

- بُخلـــه:

اشتهر أبو العتاهية ببخله، ويقول ثمامة بن أشرس عنه: "إنه على جسمه في داره سبعاً وعشرين بذرة، لم يكن يزكي، وكان شحيحاً على نفسه فلم يكن يشتري اللحم إلاّ من عيد إلى عيد".

ومن غريب حاله أن كان يشجب البخل، ويقول إنه يضر بصاحبه:

لم يضر بخل بخير غيره فهو المغبون لو كان فطن

ويدعو الإنسان إلى سد خلته فقط، وما زاد عنده فهو سجين له:

إذا حزت ما يكفيك من سد خلة فصرت إلى ما فوقه صرت في سجن[2]

- موتـــه:

قيل إن أبا العتاهية عاش إلى أيام المأمون، ومدحه ببعض أبيات رواها الأغاني ونال برّه، ومات في عهد خلافته، ودفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي من بغداد.[3]

---

[1]- كرم البستاني: ديوان أبي العتاهية، ص 07.

[2]- نفسه، ص 09.

[3]- نفسه، ص 10.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

I. المصادر:

1- أبو العتاهية: الديوان، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1406هـ-1926م.

2- أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني: مجمع الأمثال، ج1، ج2، التعاونية الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة، (د.ط)، (د.ت).

3- الحسن اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ج3، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ-1981م.

4- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا_ بيروت ،1406هـ_1986م.

5- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد فاضلي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2007.

6- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: ياسين اليوبي، المكتبة المصرية، ط1، 2002م.

II. المراجع:

1- أبو العزايم جاد الكبير بكير: طلائع الصوفية، (د.ط)، (د.ت).

2- البسيوني عبد الفتاح فيود: علم البيان -دراسة تحليلية لمسائل البيان-، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1436هـ-2015م .

3- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م.

4- سراج الدين محمد: الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الكتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

5- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي-العصر العباسي الأول-، دار المعارف، ط16، (د.ت).

6- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 1405هـ-1985م.

7- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية وعلم العروض والقوافي، دار الآفاق العربية، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

8- عبد الله المبارك المرزوقي: الزهد والرقائق، تح: أحمد فريد، دار المعراج الدولية، الرياض، ط16، (د.ت).

9- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية -دراسة تاريخية تحليلية-، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1408هـ-1988م.

10- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، دار المعارف، (د.ت)، (د.ط).

11- محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، (د.ط)، (د.ت).

12- محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

13- محمد علي السلطاني: المختار في علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2008م.

14- نزار عبد الله الضمور: الزهد في الشعر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1433هـ-2012م

III. القواميس و المعاجم:

1- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

2- أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج2، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط)، (د.ت).

3- أبي القاسم جار الله محمود بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيود السود، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

4- أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، م1، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).

5- أحمد أمين: قاموس والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (د.ط)، 2012م.

6- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

7- لويس معلوف اليسوعي: المنجد في المنجد اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط18، (د.ت).

8- مجدي وهبه، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، م1، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

9- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ساحة رياض الصلح، بيروت، (د.ط)، 1986.

IV. الدواوين:

1- شكري فيصل: أبو العتاهية أشعاره وأخباره، مطبعة جامعة دمشق، (د.ط)، (د.ت).

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة (أ-ب)	
الفصل الأول: مهاد نظري (5-20)	
1.مفهوم المثل.	5
أ- لغة	5
ب- اصطلاحا.	6
2.مفهوم الحكمة.	10
أ- لغة.	10
ب- اصطلاحا.	11
1.الفرق بين المثل والحكمة.	23
2.مفهوم الزهد.	24
أ. لغــة.	25
ب. اصطلاحاً.	27
3.تطور الزهد في الشعر العربي.	35
الفصل الثاني: موضوعات الحكمة التي اشتمل عليها شعر الزهد عند أبي العتاهية (23-35)	
تمهيد	23
1. الشيب والشباب.	24
2. الدعوة إلى القناعة والصّبر.	25
3. الموت.	26
4. الصّبر.	28
5. النّـدم.	29
6. الطّمع في الدنيا ومتاعها.	30

7. الوعظ والنّصح.	31
8. الضلال والفتن.	32
9. الغنى.	33
10. الظلم.	34
11. التقوى.	35
الفصل الثالث: الأمثال في شعر الزهد عند أبي العتاهية (38-49)	
تمهيد	38
1. النصح.	39
2. إخلاص النية.	40
3. تقلّب الدنيا وأحوالها.	41
4. الرضا بالقليل.	42
5. عدم القناعة.	43
6. سوء الفهم.	44
7. وصال الصديق.	45
8. الصديق.	47
9. الصمت.	48
الفصل الرابع: دراسة فنية للأمثال والحكم (51-61)	
1. التشبيه.	51
2. الاستعارة.	54
3. الكناية.	56
4. الطبـــاق.	58
5. الجناس.	60
الخاتمة	**(63-64)**

ملحـــق	(68 – 66)
قائمة المصادر والمراجع	(73 – 70)
فهرس الموضوعات	(77 – 75)
ملخص باللغة العربية	–
ملخص باللغة الفرنسية	–

ملخّص

تتضمن هذه المذكرة موضوع توظيف الأمثال والحكم في شعر الزهد عند أبي العتاهية وقد تضمنت الدراسة جانبا نظريا يتجسد في تعريف المثل لغة واصطلاحا، تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح وأيضا الفرق بين المثل والحكمة، تعريف الزهد لغة واصطلاحا والفصل الرابع في تطور الزهد في الشعر العربي، أما بالنسبة للفصول التطبيقية فهي ثلاثة؛ الفصل الأول يتمثل في موضوعات شعر الحكمة التي اشتمل عليها شعر الزهد عند أبي العتاهية والفصل الثاني في توظيف الأمثال في شعر الزهد عند أبي العتاهية أما بالنسبة للفصل الثالث فهو دراسة فنية للأمثال والحكم والنتائج البارزة المتحصل عليها هي:

– أن انتقال الشاعر أبو العتاهية من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد كانت نقلة خاصة في مسار حياته خاصة شعره الذي زاد رونقا وبهاء.
– توظيفه للأمثال والحكم توظيفا بلاغيا بارز وهذا يدل على فحولته وبلوغه.

Résume :

Ce mémoire inclut l’emploi des adages et les maximes dans la poésie **‘’l’axère chez Abu El Atahia’’,** et cette étude a inclus un c été thèsrique incarnée dans la définition de l’adage langagièrement et terminologique ment, la définition des maximes en langue et en terminologue et aussi la langue entre l’adage et la maxime, la définition de l’axère en langue et en terminologie et le quatrième chapitre dans la développement de l’axére dans la poésie arabe, quant aux chapitre pratique ,ils sont trois le premier concerne des thomes de la poésie de la maxime que étaient portés par la deuxième chapitre dans l’emploi des adage dans la poésie le l’axére concernant le troisième chapitre , c’est une étude artistique des résultats éminents sont :

- Le passage de Abu el Atahia de la vie de l’amusement et de l’insolence envers la vie de l’axére était un changement de sa vie surtout sa poésie que s’augment en glamour et en beauté.

- Son emploi des adages et des maximes un emploi historique éminent et ça indique sa virilité, sa hauteur et sa grandeur.